لماذا تكرهنا أميركا؟

حيدر عيد *

«فجأة» أدرك بعض القادة الفلسطينيين أخيراً أنّ الولايات المتحدة منحازة إلى جانب إسرائيل. فقد اختفى الحديث اللطيف المنمق الذي كان ينطق به الرئيس الأميركي باراك أوباما، وذهبت النشوة التي أعقبت خطابه «لتمهيد الأرضية» في جامعة القاهرة. ولكن هناك أيضاً من «اكتشف» فجأة، من التيار الإسلاموي، أهمية الدور الأميركي وأنّه لا بدّ من التواصل مع الإدارة الأميركية وحتى لو عبر رسائل موجّهة للرئيس الأميركي الذي يرفض قراءتها!

باختصار... اكتشفنا أننا قد عدنا إلى المربع الأول.

ولكن يظل هناك العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات شافية، على الأقل احتراماً لدماء الذين يسقطون بأسلحة أميركية، فوسفورية وغيرها: لماذا تكرهنا أميركا نحن الفلسطينيين؟ هل يؤمن الشعب الأميركي حقاً بأنه ليس لنا حقوق، حتى ولو أن هذه الحقوق متجذرة عميقاً في القانون الدولي؟ هل يعتقد الرئيس أوباما حقاً بأننا مجرد «مصدر للإزعاج؟» وأننا «irrelevant»؟

تستند فلسفة الهيمنة السياسية الأميركية إلى إطلاق الحكم على الفكرة انطلاقاً من نتائجها وليس مسبباتها. ويتركز الاهتمام على الصلة بين صواب التصريحات وإمكانية تطبيقها العملي بمعيار واحد فقط: كيف ستعمل تلك التصريحات لصالح أميركا؟ هذه ببساطة هي النزعة البراغماتية الأميركية. ويعني هذا أن الساسة الأميركيين الليبراليين البيض (بمن فيهم الرئيس أوباما!) يهتمون بوظيفة الأفكار والتصريحات وآثارها، أكثر من اهتمامهم بمصادرها وظروف إصدارها.

إن «إمكانية التطبيق العملي» (Practicality) هي الأسس التي يتم بها إمرار المواقف التي تتخذها المؤسسة الأميركية. ومع ذلك، لا يأخذ ذلك في الحسبان طبيعة الظروف التي تجعل من تلك المواقف ممكنة التطبيق، لا تاريخياً ولا اجتماعياً. وتكون الفكرة كما يأتي: إن ما نريده «نحن» الليبراليين الأميركيين البيض، هو أمر مبرر، وبالتالي مشروع، بما أنه «قابل للتطبيق» و«عملي»، بغض النظر عن الوسائل التي سيتحقق بها. وهكذا، يمكن لأمور مثل الفصل العنصري (الأبارتهيد)، والصهيونية، والاحتلال الأميركي للعراق أن تُبرر بسهولة، وأن تباع للمواطنين المشبعين حتى العظم بدعاية محطات «سي إن إن» و«فوكس نيوز».

تشكّل سياسة السيد أوباما ووزير خارجيته، إعادة إنتاج لأفكار النزعة البراغماتية الأميركية القديمة، والتي أعيدت صياغتها النظرية بحيث تناسب توقعات ساسة الطبقة الوسطى الليبرالية للمجتمع الرأسمالي الأميركي المتأخر – ولو أنها جاءت بقناع أسود هذه المرة.

مما لا شك فيه أن هذه النزعة البراغماتية الأميركية تجد جذورها في الفهم الأوروبي المتمركز على الذات للديموقراطية الليبرالية، والتي تستغل فكرة امتلاء الدول الديموقراطية الغربية نفسها بالناس الذين يمكن إقناعهم بالتصويت، بطرق متعارضة تماماً مع مصالحهم الحقيقية البعيدة المدى، إذا كان بالوسع خداعهم، باستخدام الخطابة الليبرالية، لاختيار الأهداف القصيرة المدى. وبعبارة أخرى، فإن بالوسع استغلال الناس وإغواءهم بأن يختاروا «بحرية»، ما يتناقض بكل وضوح مع مصالحهم الذاتية الحقيقية نفسها. وبغير ذلك، ما كان هتلر ليستطيع أبداً أن يؤسس الرايخ الثالث، وما كان الإسرائيليون لينتخبوا نتنياهو وليبرمان لتولي السلطة. وهكذا تتهاجن الليبرالية البورجوازية والليبرالية الجديدة، وتقومان معاً بتهجين المجتمع بذرائع مختلطة، في حين تتجنبان النقد الراديكالي الأشمل والمطلوب لخلق مجتمع أصيل، وبالتالي إنجاز التغيير السياسي.

تكشف التحليلات الاجتماعية _ التاريخية لمثل هذه المجتمعات عن أن الأغنياء يتمتعون بالقوة، وأنهم قد ابتكروا طرقاً لجعل ما يمتلكونه مشروعاً، وكيف أنهم يستخدمون ويستغلون، بطريقة «قانونية»، جهد الطبقة العاملة والبلدان الأفقر. وهم يضفون المشروعية على مثل هذه المكاسب غير العادلة باستخدام قوانين تحميها المؤسسات، قوانين تتجاوب، ظاهرياً، مع الصالح العام، وتقنع قطاعاً كبيراً من المجتمع بالتصويت ضد مصالحه الخاصة. وقد جرى انتخاب بوش مرتين، على سبيل المثال، على الرغم من جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها إدارته في أفغانستان والعراق. وكذلك يقول بعض المفكرين النقديين، أمثال تشومسكي وسعيد وبودلير، فإن الأصوات الانتخابية في المجتمع الليبرالي المعاصر لا تمنح لكل شخص، كما يفترض بها أن تكون، وإنما لكل دولار، وهو ما يضمن ناتجاً غير ديموقراطي. ولمزيد من الإيضاح، فإن التصويت في الانتخابات لا يضمن حرية الفرد في أن يختار ممثله وفقاً لمصالحه الخاصة. وإنما أصبح التصويت، بدلاً من ذلك، جزءاً من نظام قررت قواعده الطبقة البورجوازية القوية في إطار محاولاتها استيعاب الطبقة المناقضة، أي الطبقة العاملة. لم يحدث أبداً أن جرى توفير «الحق الإنساني» في الاختيار الحر للشعوب المستعمرة حتى تختار ممثليها في ظل النظام الكولونيالي «الليبرالي». وقد شارك الكثيرون من الجنوب أفارقة البيض «بحرية» في اختيار نظام قمعي عنصري، استطاع كسب الشرعية بفضل مشاركة «الليبراليين» في البرلمان. وينطبق الأمر نفسه على نظام الفصل العنصري في إسرائيل.

ثمة سؤال مهم يظهر هنا: كيف يستطيع كل فرد أن يمتلك مثل هذه الحقوق عندما تكون كل المكاسب الاجتماعية الأساسية _

لا حاجة إذن إلى التعجب من السبب في أن السيد أوباما وكل من يعمل في البيت الأبيض يكنّون لنا الكراهية (أ ف ب)

اغتيال عرفات و«تورط» سلطة أوسلوستان

زهير أندراوس *

منذ بداية ما كان يُطلق عليه الربيع العربيّ، حاولت فضائية «الجزيرة» القطريّة استقطاب المشاهدين الناطقين بالضاد من جميع أصقاع العالم ونجحت، وتحوّلت خلال أشهر إلى «سبونسر» (راعي أو وصيّ) الـ«ثورات» في تونس، مصر وليبيا، وباتت لاعباً مركزيّاً ومهماً ومفصلياً في مواكبة الأحداث على مدار الساعة، الأمر الذي رفع من شعبيتها ونسبة مشاهديها، ذلك أنّ المُشاهد العربيّ المتعطّش للرأي الآخر وجد في أخبارها وتقاريرها ضالّته، وأصبحت بالنسبة إليه مرجعية صادقة ومؤثرة جداً. ولكنّ برنامج «كشف المستور» الذي كانت تبثه الفضائية عينها، من الدوحة، وهي عاصمة أكثر الدول ديكتاتوريّةً في العالم، الذي كان ذُخراً وباتَ عبئاً، انقلب على نفسه، وأمسى بمثابة كيدٍ مرتدٍ على الفضائية. إذ إنّه مع اندلاع الأحداث في ليبيا، بدأ دور «الجزيرة» المشبوه ينكشف شيئاً فشيئاً. وكانت تقاريرها تتجاهل عن سبق الإصرار والترّصد أنّ طائرات حلف شمالي الأطلسيّ (الناتو) تقوم بقتل مئات آلاف المدنيين الليبيين، بعد حصول هذا الحلف العدوانيّ على غطاء أو تفويض من جامعة الدول العربيّة، أو جامعة النعاج العربيّة، التي سيطرت عليها إمارة قطر. أمّا بداية انهيار هذه الإمبراطورية الإعلاميّة، فقد سُجّلت مع بدء المؤامرة الكونيّة ضدّ سوريا المقاومة والممانعة، حيث أدّت هذه الفضائيّة، ولا تزال، دوراً مشبوهاً في شيطنة الدولة السوريّة، ونظام الحكم، وتدعم بكلّ ما أوتيت من قوة ما يسّمى الثورة السوريّة السلميّة. ووصل الصلف والوقاحة بها إلى حد لا يُطاق، فالجماعات التكفيريّة الإجراميّة تحوّلت بقدرة غير قادرٍ إلى تنظيمات تسعى إلى تحرير سوريا من «النظام الاستبداديّ». ومع مرور الأيّام، بدأ التقهقر في صدقية هذه الفضائيّة، لا لأنّها تغيّرت في توجهاتها، بل لأنّ الأحداث المتسارعة على الساحة في بلاد الشام أسقطت القناع عنها وعن الكثيرين من منظّري الثورة، الذين يتخذون من الدوحة مقراً لهم ولمخططاتهم الخبيثة ضدّ أيّ بلد عربي قومي، خدمةً للأجندات الغربيّة، التي تُمعن في إفقار العرب وإذلالهم وازدرائهم وتحقيرهم من منطلق الفوقيّة والدونيّة، بهدف مواصلة السيطرة عليهم، ونهب ثرواتهم. «الجزيرة» تقف اليوم على مفترق طرق صعب للغاية، ذلك أنّ دراسة نشرتها مجلة «لو ماغ» هذا العام بيّنت تراجع نسبة مشاهدة القناة القطرية من 43 مليوناً إلى 6 ملايين فقط. وبما أنني شخصياً عزفت عن متابعة هذه الفضائيّة، من حقّي، لا بل من واجبي أن أطرح سؤالاً في غاية الأهميّة: هل قامت الجزيرة بإعداد تقريرٍ عن قيام الدولة العبريّة، طبعاً من «دوافعَ إنسانيّة بحتة»، باستقبال جرحى «الثورة» السوريّة ومعالجتهم في مستشفياتها؟

■ ■ ■

سُقنا هذه المقدّمة على وقع إحياء الذكرى التاسعة لرحيل الرئيس الفلسطينيّ ياسر عرفات (11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2004). «الجزيرة»، التي تعلم وتدري أنّ هذه القضيّة لا تزال تقضّ مضاجع الشعب العربي الفلسطيني، وخصوصاً أنّ عرفات رحل إلى العالم الآخر في ظروف لا تزال غير معروفة حتى اليوم، انقضّت على هذا الموضوع، لعلمها بأنّ الفلسطينيين هم اليوم الرقم الضعيف جداً في المعادلة الإقليميّة والدوليّة، وأيضاً لإذكاء الخلاف القائم أصلاً بين فتح وحماس الذي يصبّ في خدمة الاحتلال وموبقاته وأدواته. التحقيق الصحافي الذي أجرته «الجزيرة»، ووصلت تكاليفه إلى ملايين الدولارات، حول ظروف وفاة عرفات، فتح الجرح من جديد، والفضائيّة القطريّة أرادت من وراء ذلك استعادة شيء من صدقيتها المفقودة، والرقص، كعادتها على الدم العربي. إلا أنّ السؤال الأوّل الذي يتبادر إلى الذهن في هذه العُجالة يتعلّق بالتوقيت: نسأل وبصوتٍ عالٍ: لماذا انتظرت الفضائية سنوات عديدة حتّى أقدمت على إعداد التقرير؟ نميل إلى الترجيح بأنّ وراء الأكمة ما وراءها، فالمثل

الأخبار
تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»
رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماحة
(2006-2007)
مستشار مجلس التحرير
انسي الحاج
رئيس التحرير ـ المدير المسؤول
إبراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب ■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليق ■ مجتمع: مهى زراقط ■ ثقافة وناس: أمل الأندري
■ رئيس مجلس الادارة ابراهيم الأمين ■ الادارة المالية: فادي خليل
■ الموارد البشرية: ريما اسماعيل
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963
■ www.al-akhbar.com
■ الاعلانات Tree Ad 01/ 611115 ـ 03 / 252224
■ التوزيع شركة الاوائل 15ـ01/ 666314 ـ 03 / 828381